التلفزيون المفهوم و الخصائص و طبيعة أثاره على المشاهد: الطفل أنموذجا

أحمد بوذراع
جامعة باتنة

الملخص :

تحاول هذه الورقة البحثية التطرق الى بعض العناصر الهامة المتعلقة بعلاقة جمهور المشاهدين بالتلفزيون على اعتباره وسيلة هامة وضرورية، والبحث في المفهوم والخصائص وطبيعة اثاره على الطفل كنموذج وفقا للمتغيرات الحاصلة في التلفزيون ، حيث كان من الصعب الوصول الى نتائج الدراسة دون الاعتماد على التراث النظري وبعض الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع الدراسة.

Abstract:

The researcher wanted to know in this intervention some important elements which has got a relation with the TV as an important and necessary mean for the one who watch it, also realizing the nature of its impacts up to the child as a model and according to the title's intervention variables, whereby it was difficult realize the trials of study, There for the researcher relies on the theoretical heritage and some previous studies which has a relation with the subject of the study.

مقدمة:

أراد الباحث أن يعرف من خلال هذه المداخلة قضايا هامة تتعلق بالتلفزيون كوسيلة هامة وضرورية بالنّسبة لمن يشاهده، وكذلك التعرف على طبيعة أثاره على الطفل كنموذج وهذا انطلاقاً من متغيرات عنوان المداخلة، حيث كان من الصعب إجراء دراسة ميدانية، لذا اعتمد الباحث على التراث النظري وبعض الدراسات السابقة ذات صلة بموضوع المداخلة، والتي لها علاقة وثيقة بخصائص التلفزيون من ناحية ، وطبيعة و أثار

التلفزيون من ناحية أخرى على سلوك المشاهد عامة وعلى الطفل خاصة، وهذا راجع إلى أن التلفزيون يعّد وسيلة مميزة لما له من تأثيرات مباشرة على الفرد والجماعة والمجتمع، باعتباره يشكل أداة اتصال جماهيرية أثبتت بأنها ذات أثار على الحياة اليومية مهما كان المشاهد من حيث سنه او جنسه ، وكذلك ما يخلفه من اتجاهات ايجابية أو سلبية في أن واحد.

أولا: التلفزيون المفهوم و الخصائص

بالرغم من الاختلاف القائم حول مفهوم التلفزيون إلا أنه وسيلة إعلامية جماهيرية مميزة لدى جميع التجمعات الإنسانية إلا أنه يعد سر اهتمام الجميع به لأنه يشكل ظاهرة جذب واشتداد إليه ، وقد يعود هذا إلى من جملة الخصائص البارزة التي تميزه عن غيره من وسائل الإعلام الجماهيري وعليه أصبح التلفزيون من مقدمة وسائل الاتصال الأكثر تأثيرا في حياة الناس وهذا لما يتمتع به من مزايا جاذبة، خاصة عندما تلتقي وتتدخل فيه الصوت والصورة واللون في أن واحد (مختار النامي، الاعلام وتحول الاشتراكي : ص 75).

ومن ثم يتضح بأن التلفزيون يمتاز بأنه يقوم بتقديم المادة الإعلامية التي يسعى إلى تقديمها وقت الحدث أو بعد فترة زمنية مناسبة ،إضافة إلى أن التلفزيون باستطاعته تكبير وتضخيم الأشياء الصغيرة وتحريك الأشياء الثابتة أو الساكنة (جهان أحمد، شتى الأسس العلمية والنظرية للإعلام: ص ص 365 - 369) كما يمتلك التلفزيون القدرة على حفظ المادة الإعلامية ليصبح بذلك أرشيفا شاملا لمناحي الحياة ، وحفاظا لجميع الفعاليات الإنسانية (مجلة الفنون وزارة الثقافة والاعلام الجهورية العراقية بغداد العدد 25 1979 ص 17)

وعلاوة على ذلك فإن التلفزيون أداة فاعلة جدا يسمح من خلالها القيام بأداء رسائل عديدة ومتنوعة يوجهها التلفزيون إلى الملايين من المشاهدين(جهان أحمد، شتى النظم الاذاعية في المجتمعات العربية : ص 98)

ولذا يعتبر التلفزيون بمثابة مدرسة يلقي فيها كل من المربي والمفكر والصحافي ورجل العلم أشياء من تجاربهم ونقلها للآخرين من خلال شاشته (محمد المكلاوي، التطور والبناء الاجتماعي: ص 12) وبهذا يتضح بأن التلفزيون له خصائص هامة منها أن التلفزيون ضيف دائم في كل بيت وأية برامج أصبحت في تناول أفراد العائلة صغارا وكبارا على حد سواء حتى أصبح من الصعب جدا منع الأطفال من مشاهدة ما يجري على شاشة من أحداث(برامج الأطفال في الراديو والتلفزيون حلقة دراسية بإشراف إتحاد الإذاعة العربية القاهرة: ص 343)

إن التلفزيون كما يصفه شرام ، بأن له صفة الغلبة على جميع وسائل الاتصال والإعلام ، وهو يشكل باب سحري إلى عالم الخيال والروعة ولإثارة كما أنه دعوة كلها إغراء لاسترخاء النفس والابتعاد عن المشاكل والمعاناة للحياة اليومية ومتاعبها المختلفة حيث يدفع بالإنسان إلى الاستغراق في المتعة مع أحداث شخصيات الفيلم أو القصة التي تجري أحداثها (وليبر شرام وجاك ليلو، التلفزيون وأثاره على حياة الأطفال: ص 4)

وبناءا عليه يتحمل التلفزيون مسؤولية كبيرة في ترقية وتحسين الذوق العام للمجتمعات وارتقاء بها باطراد وليس مواجهة ، بل أنها استجابة (زكي الجابر، دراسة استجابات الاسرة العراقية لبرامج التلفزيون: ص 18)

وهذا أكدت العديد من الدراسات بأن التلفزيون استطاع بدون منازع الانتقال بالمشاهدين صغارا كبارا إلى ممارسات جديدة منها إنشاء علاقات اجتماعية مع الآخرين باعتبار أن التلفزيون له القدرة التي تميزه عن غيره في عرض الأحداث المؤدية إلى تغيير في السلوك والمواقف والممارسات الايجابية بشكل عام، و على سبيل المثال فإن الآثار التربوية للتلفزيون على الأطفال تلعب دورا هاما في تحديد اتجاهاتهم نحو أنماط سلوكية معينة لأن التلفزيون يتمتع بقدرات فائقة في جذب الانتباه وإثارة الاهتمام ، وهذا ما أثبتته الدراسات والتجارب بأن التلفزيون له القدرة العالية على تقديم نوع من المعرفة الإنسانية والذي يمثل التلفزيون الأولية فيها (جهان احمد شتى، مرجع السابق: ص 119) ويبدو أن قيمة التلفزيون وإمكانيات وقدراته في

التأثير والتأثر راجعة في الأساس إلى الإنسان الذي يحصل على 98 % من معرفته في الحياة عن طريق حاستي السمع والبصر و إن هذه النسبة يحصل المرء منها على 95 % تقريبا عن طريق البصر وحده ، و إن 03% فقط يحصل عليها عن طريق حاسة السمع ، وعليه فإن التلفزيون يشكّل بذلك ثورة هائلة ، فيمكن أن يحدث تأثيرا على الحياة المشاهد لبرنامج التلفزيون (محمد ضياء الدين عوض، التلفزيون والتنمية الاجتماعية: ص 107) و هذا ما يؤكد أن للتلفزيون خصائص كانت وراء إحداث أثار مختلفة على المشاهد عامة والطفل خاصة ، والذي يعد نموذجا في هذه المداخلة : مما يحتم بالضرورة التحدث عن المحور الثاني في هذه المداخلة المتمثلة فما يلي:

ثانيا : طبيعة الآثار التي يتركها التلفزيون على الطفل انموذجا

عند التحدث عن أثار التلفزيون على الأطفال نعني به المشاهدة التي يمكن أن يتأثر بها الأطفال نتيجة لما يطرأ على سلوكهم من حيث ممارستهم الحياتية في ظل المتغيرات في الاتجاه السلبي أو الايجابي ، وهذا أمر شكّل حيزا كبيرا في معظم الدراسات التي أجريت في هذا المجال، بينّت من خلالها بأن هناك علاقة مبكرة بين الطفل والتلفزيون سببها راجع إلى وجود التلفزيون داخل المنزل والذي كان وراء قيام مثل هذه العلاقة الوطيدة بين الطفل والتلفزيون وهذا ما أكده شرام و اعتبره جزاءا من المراحل الأولية التي يتحسس وينتبه فيها الطفل للتلفزيون بالمصادفة ، و يألفة و الزمالة ، حيث يتم مثل هذا الاتصال الذي يحدث الطفل بالضرورة: وحسب شرام فإن الاتصال لأول مرة بين التلفزيون والطفل يبدأ قبل السنة الثانية بمصاحبة أحد أفراده أسرته، لمشاهدة برامج التلفزيون وعندما يصبح الطفل في سن الثالثة من عمره يصير باستطاعته أن يطلب برنامجه المفضل من بين برامج الأطفال الأخرى ذات المحتوى والحركة السريعين ، ومع تقدمه في السن يكون الطفل قد تعرّف على كل الوسائل السمعية البصرية، ويكون بذلك قد استوعب فكرة البرنامج مفضل لديه والذي يريد مشاهدته (شرام، المرجع السابق الذكر: ص 235)

وهذا ما أكدته عدة أبحاث تتعلق بتأثير التلفزيون ، بأن هذا الأخير من أكثر وسائل الإعلام انتشارا وتأثيرا على الطفل المشاهد للتلفزيون خاصة في سنه المبكر وبذلك تصبح المشاهد صورة منظمة لدى الأطفال ، وأن التلفزيون أصبح مصدرا رئيسا من مصادر التأثير التي تفرض على الأطفال حياة الكبار وصور واقع الحياة الاجتماعية للمجمعات البشرية (فتح الباب عبد الحميد السيد وإبراهيم ميخائيل حفظ الله الناس والتلفزيون ص 270)

ولذا نجد بأن التلفزيون له أثار يخلفها على الأطفال ليست في الحقيقة وليدة الصدفة بل أنها تعود إلى البيئة الاجتماعية والتربوية للطفل داخل أسرته ، وهذا ما يؤكد على أن التلفزيون له أثر على الأطفال كحصيلة لنتائج مختلفة تكون قد أثرت على الطفل قبل مشاهدته للتلفزيون وستبقى مؤثرة فيه قبل وبعد المشاهدة (المرجع نفسه: ص 48)

وفي هذا الشأن لقد أشاد علماء النفس والنفس الاجتماعي إلى أن الطفل لا يولد بطبيعة واحدة أي أن خصائصه السلوكية واتجاهاته وقيمته.....وغيرها لا تولد جاهزة كاملة ومحددة معه ، وإنما يكتسبها من البيئة الاجتماعية وعلى وجه الخصوص الجوانب المادية والمعنوية، التي تصبح في ما بعد جزء منه بمجرد ولادته (محمد الهادي عفيفي، أصول التربية: ص 213)

وهذا ما يؤكد على أن الطفل أكثر عرضة لتأثير التلفزيون من غيره وربما هذا راجع ذلك إلى عاملين أولهما أن الطفل يستمد كثيرا من سلوكياته عن الحياة من خلال ما يتم عرضه من برامج تلفزيونية ، فيتقبلها دون مناقشة وتكون بذلك درجة الامتصاص للمادة المعروضة كبيرة من طرف الطفل ، وثانيها أن الطفل يصعب عليه الفصل بين الواقع الحقيقي الذي يعيشه والواقع الخيالي التي تقوم عليها البرامج التلفزيونية وغالبا ما يعتقد بأن ما يعرضه هذا الآخر حقيقة واقعية وهذا ما يؤكد على ان التلفزيون ذو قدرة تأثيريه قوية على الطفل (عبد الحميد السيد، المرجع السابق الذكر: ص 58)

ولذا نجد كلما زاد سن الطفل وذكاؤه كان أكثر تذوق ونقد البرامج التلفزيونية حيث تظهر الآثار العاطفية للتلفزيون أكثر خاصية بالنسبة للطفل الذي يحسن الاختيار عن الطفل الذي لا يحسنه (جهان احمد شتى: المرجع السابق الذكر، ص 268) وهذا بيّنته إحدى الدراسات الأجنبية أن هناك ثلاثة استخدامات مهمة ذات تأثير على حياة الأطفال عامة وهذا من خلال التلفزيون وهي:

1. أن التلفزيون يضيف البهجة على نفس الطفل، وهذا ما يوضح مدى متابعة هذا الأخير للبرامج المفضلة لديه في التلفزيون.

2. أن التلفزيون يقوم بتقديم معلومات هامة ، كما له من علاقة وطيدة في تحديد نوع السلوك لدى الطفل.

3. إن التلفزيون يقدم للطفل منفعة اجتماعية من خلال المشاهدة الجماعية التي تعرض الأفكار والقيم والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي لها تأثير مباشرة على تقنين مسيرة حياة الطفل.

إن التلفزيون ذو أثار ايجابية وسلبية في أن واحد وهذا وفق البرنامج المعّد ، للطفل تلفزيونيا وهذا ما أكده شرام أيضا بأن هناك عناصر لها دورا في عملية التفاعل مع الخيال والواقع بالنسبة للطفل وهي:

1. القدرة العقلية للطفل: ويقصد بها الإمكانيات التي من خلالها يمكن تحديد قدرة الطفل على التعلم من التلفزيون والفرق بين أنواع المعارف المكتسبة ودفع به للاكتشاف الجديدة

2. الاتجاهات الاجتماعية للطفل: ويعني بها مدى قدرة الطفل على اكتساب الاتجاهات ونشاطات تتعلق بالحياة من خلال التلفزيون.

3. سن الطفل : ويقصد به استخدام التسلسل الزمني للدلالة على أنواع الخبرة التي يمكن أن يكتسبها الطفل في حياته من التلفزيون في مراحل العمرية المختلفة .

4. الاستدلال بالأدوار المختلفة للطفل : و نعني بها اكتساب الخبرة في إعداد للحياة و كيفية مواجهتها أثناء مسيرته المستقبلية (شرام : المرجع السابق الذكر ،ص 253).

وبهذا فإن التلفزيون ذو وظيفة اجتماعية لا تختلف عن أية وظيفة اجتماعية أخرى تؤديها أي مؤسسة اجتماعية على اعتبار أن التلفزيون يعد وسيلة إعلامية تنتج قيم معنوية لها مكانة في حياة الطفل ، حيث تظهر أهمية ارتباط واستخدام التلفزيون في حياة الطفل من خلال ما يقدمه من برامج موجهة له.

ومن ثم فإن المعنيين بشؤون التلفزيون أكدوا على علاقة هذا الأخير بأنه وسيلة إعلامية ضخمة يمكن أن تنّمي عقول الأطفال وتكتسبهم قدرا هاما و كافيا من المهارات ، فالتجربة مفيدة إلى حد ما إذا ما استخدم التلفزيون بالطرق الصحيحة ، لذا فهم ينصحون الآباء و الأمهات أن يستغلوا سلطاتهم في اختيار البرامج المفيدة والمواعيد المناسبة التي يشاهد فيها أطفالهم التلفزيون (المرجع نفسه :ص 93 - 94)، وهذا ما أكّدته بعض الحقائق المسلم بها في أصول التربية بأن المسؤولية مشتركة بين أجهزة الإعلام و الأسرة و المؤسسات الاجتماعية الأخرى ذات شؤون بتربية الأطفال (فتح الباب عبد الحميد السيد : المرجع السابق الذكر ،ص 125).

والاهتمام بالأطفال من خلال تربية سليمة ، متوازنة ومتكاملة تستلزم قيام مجموعة من صيغ التعاون والتنسيق بين التلفزيون ، الأسرة ، المدرسة والمجتمع في آن واحد، على اعتبار أن طفل اليوم هو رجل المستقبل وهذا ما يضع أمام التلفزيون مسؤولية كبيرة تتمثل في العناية الكافية بالطفل والنهوض والارتقاء ببنائه البدني والروحي والنفسي في ظل تحديات المستقبل

ثالثا : الخلاصة

يمكن أن نستخلص من خلال المداخلة في ضوء ما تم عرضه في ما يلي:

1. أن التلفزيون يتميز بمواصفات نادرة جعلته يتبوأ المكانة الأولى في وسائل الإعلام والاتصال ، والتي أكد تأثيره في حياة الجماهير سلبيا أو ايجابيا وفي مقدمتهم جمهور الأطفال

2. يبدو أن مصدر الأثر السلبي للتلفزيون على سلوك الأطفال في أغلب الأحيان راجع إلى برامج التلفزيونية الموّجهة ، و التي تعمل على زيادة معلومات الأطفال ونوعيتهم ، وتكاد أن تكون مثل هذا النوع من البرامج نادرا ما تستحوذ على اهتمامات الأطفال باستثناء الأذكياء منهم والأكبر سنا

-3إن تكرر استخدام البرامج التلفزيونية أساليب متنوعة من الدراما. أكدت تضاعف تأثيرها على الأطفال حيث يتحدد نوعية هذا التأثير بطبيعة مضمون هذه البرامج والأفكار التي تحاول التركيز عليها خاصة بالنسبة للمشاهد الطفل

4. إن الآثار التي يمكن أن يخلفها التلفزيون على الأطفال سواء كان سلبيا أو ايجابيا تكون حصيلة عوامل عديدة تتعلق بالنشأة الأولى للطفل داخل بيئته الاجتماعية ومدى وعيه وإدراكه للأشياء

5. إن إعداد البرامج وتوجيهها توجها سليما للأطفال عبر التلفزيون يتطلب خبرة في الطفولة من حيث تركيبتها وخصائصها (البناء) وهذا ما لها من تأثيرات على مستقبل الطفل.

قائمة المصادر و المراجع

1- مختار الناني الإعلام والتحول الاشتراكي، مصر- القاهرة، دار المعارف المصرية: 1966.

2- جهان أحمد شتى الأسس العلمية والنظريات للإعلام القاهرة دار الفكر العربي: 1987 .

3- مجلة الفنون ، وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية ، العراق-بغداد، العدد 25 : 1979.

4- جهان أحمد شتى النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية ، مصر- القاهرة ، دار الفكر العربي: 1987.

5- محمد النكلاوي، التطور والبناء الاجتماعي مجلة الفنون والإذاعة معهد التدريب الإذاعي والتلفزيون، العراق- بغداد، العدد 05: 1993.

6- وليو وشرام وجاك ليل ، التلفزيون أثره في حياة الأطفال ، ترجمة أدوين بركر وزكريا سعيد حسن مراجعة تماضر توفيق، مصر -القاهرة، دار المصرية والتأليف والنشر: 1965.

7- زكي الجابر ، دراسة استجابات أسرة العرقية لبرنامج التلفزيون ، العراق- بغداد، مجلة الآداب ،جامعة بغداد: 1972.

8- الإذاعة المرئية و آثارها الاجتماعية والثقافية والإعلامية في الوطن العربي، ليبيا- طرابلس ، منظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: 1972.

9- الدورة التدريبية اللازمة للإذاعة والبرامج التعليمية التلفزيون، الكويت، منظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: 1977.

10- grant , noble : children in front of the small screen , soge poblication bergerly hills california 1975.

11- محمد ضياء الدين، عوض التلفزيون والتنمية الاجتماعية،مصر- القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر: 1965 .

12- فتح الباب عبد الحليم السيد إبراهيم ميخائيل، حفظ الله الناس والتلفزيون، مصر- القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية: 1967 .

13- محمد الهادي عفيفي، أصول التربية، مصر- القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية،1975